



الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه معالم في حقيقة الدعوة ومعناها، وما يراد بها من المصطلحات:

1- الدعوة: مصدر الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، بفتح الدال، وقد وردت في اللغة العربية على معانٍ كثيرة بحسب سياقها، كلها تدور حول: السؤال، والطلب، والنداء، والدعاء، والاستمالة، والتجمع، إلا أنها إذا تعددت بـ «إلى» تحدد معناها بالطلب والحدث على الشيء، أو سوقه إليه.

فالدعوة إلى الشيء: هي الطلب بشدة وحث إلى الاستجابة لما تكون الدعوة إليه، أخذًا أو تركًا، من اعتقاد أو قول أو عمل.

2- وقد تعددت التعاريف الاصطلاحية حتى جاوزت العشرة، وهي وإن اختلفت في عباراتها إلا أنها تتوحد في غaitتها، فهي من باب اختلاف التنوع لا التضاد، ومن باب المثال والقصر على بعض المعاني.

ولقد تبعت تلك التعاريف فخرجت منها بتعريفٍ جامِعٍ يجمع شتاتها، فقللت في تعريف الدعوة إلى الله من حيث الاصطلاح: «هي تبليغُ الإسلام للناس وتعليمهم إياه، والحدثُ على الاستقامة عليه ظاهرًا وباطنًا، والتحذيرُ من تركه، باستخدام الأسلوب والوسائل الشرعية، ليفوزوا بسعادة الدارين الدنيا والآخرة».

3- والتبليغُ من أعظم صفات المرسلين الذين بلغوا أوامر الله من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان، قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشُوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب: 39].

وقد قام الرسول بالبلاغ المبين فلم يخف شيئاً أو يخص أحداً بشيء، ففي صحيح البخاري عن مسروق عن عائشة رضي الله

عنها قالت: "مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ} [المائدة: 67] الآية".

وينبغي على الأمة أن تقوم بواجب البلاغ وخاصة منهم أهل العلم، فيبلغون دين الله إلى العالمين، لأن ذلك هو السبيل لنشر الإسلام في شتى بقاع الأرض.

والبلاغ ينبغي أن يكون مبيناً، والمبين هو الواضح الذي تقوم به الحجة، قال تعالى: {فَهُلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: 35].

4- الدعوة إلى الله بشاره بالخير وثوابه، ونذارة من الشر وعقابه، بشاره للمؤمنين، ونذارة للكافرين.

وقد أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين، مبشرين بالتوحيد ولوازمه وثوابه، ومنذرين من الكفر وتوبته وعقابه، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} [البقرة: 213].

وختم الله النبوة بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فأرسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا [الأحزاب: 45، 46].

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بالنذارة على أكمل حال، فبدأ بنذارة قومه الأقربين، قال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَاتَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]. وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ} [المدثر: 1، 2].

فunasib استخدام النذارة لما عليه القوم من الكفر والضلال.

5- الدعوة إلى الله تذكير، والتذكير: أن يجعل غيرك يستحضر ما تذكره به بغرض الاتّهاظ والخروج من ميدان الغفلة والنسيان إلى مجال المشاهدة والحضور.

والذكير لا يختص بال المسلمين بل هو للكافرين أيضاً، فقد ذكر الله الكافرين بأياته الشرعية والكونية حتى يعودوا إلى ربهم، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ نُذَكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَأُ} [الكهف: 57].

فالداعي إلى الله مذكور يذكر الناس وخاصة المؤمنين منهم، قال تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفُعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: 55].

6- الدعوة إلى الله إرشاد، والإرشاد: مصدر أرشده إلى الشيء بمعنى: دله عليه ودهاه إليه، وإرشاد الصال : هدايته الطريق وتعريفه به ، وهو مأخذ من مادة (رشد) التي تدل على استقامة الطريق، والراشد: المستقيم على طريق الحق.

فالدعوة إلى الله إرشاد، وحاملها مرشد يدل الناس إلى الطريق المستقيم، وبهديهم إليه، ويدلهم إلى الخير وأبوابه، مما يحقق للمجتمع الحياة السعيدة المستقرة.

7- الدعوة إلى الله هي تواصي بالحق، وهي من أعظم أركان الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْنِ} [العصر: 1 - 3].

وإنَّ من أعظم ما يتواصى به هو تقوى الله سبحانه وتعالى المتضمنة لتوحيده واتباع شرعه.

قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيَّنَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131].

8- الدعوة إلى الله بيان وتبين، والبيان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، ووضح لك المعنى حتى يفتشي السامع إلى حقيقته.

ولابد للداعية أن يقوم بالبيان وتوضيح المعاني للمدعى لهم لا لبس فيها ولا غموض، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِبُيَّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: 4].

وي ينبغي على الداعية أن يكون عارفاً بلغة القوم الذين يدعوه، وأن يستخدم هذه اللغة على نحو لا غموض فيه ولا التباس.

9- الدعوة إلى الله صلاح وإصلاح: اسم يطلق على الدعوة من حيث الوسائل والمقاصد، فإن المقصود العظيم من الدعوة إلى الله هو الإصلاح بكل معاناته و مجالاته، كما قال تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: {قَالَ يَا قَوْمَ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَصَاحًا مَا
اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُكُلُّ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88].

10- الدعوة إلى الله نصيحة، والنصيحة كلمة جامعه تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً.

فالداعي إلى الله ناصح أمين، ينصح غير المسلمين بدعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وينصح المسلمين بحثهم على التزام شرع الله، فذلك كان الدين هو النصيحة.

وفي صحيح مسلم عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة. فلنا:
لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم).

وكان الأنبياء والمرسلون خير ناصحين لأقوامهم، قال تعالى عن نوح عليه السلام: {قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ
وَلَكُنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (61) أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون [الأعراف: 61، 62].

وقال عن هود عليه السلام: {أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف: 68].

وقال عن صالح عليه السلام: {فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَاصَحْتُكُمْ
لَكُمْ وَلَكُنْ لَا تُجِبُونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: 79].

وقال عن شعيب عليه السلام: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعُّيبًا كَأَنْ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعُّيبًا كَأَنُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} (92)
فتولى عنهم وقال يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَاصَحْتُكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ] [الأعراف: 92، 93].

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بالنصيحة لأمته على أتم وجه، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث صفة حجته صلى الله عليه وسلم وفيه: (وأنتم مسئولون عنّي، فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

وقام الصحابة رضي الله عنهم بالنصيحة لمن بعدهم، بل قد بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على النصيحة لكل مسلم، في الصحيحين عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم).

11- الدعوة إلى الله هداية، هداية دلالة وإرشاد، لطريق الحق ليسلك، ولطريق الباطل ليجتنب، وهذه لا تختص بالخالق بل يقوم بها المخلوق من الأنبياء والمصلحين، قال تعالى عن رسوله الكريم: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52].

وأئمة العلم والإيمان يهدون الناس ويرشدونهم إلى الحق، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24]، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (واجعلنا هداة مهتدين).

وأما هداية القلب للإيمان وللعمل الصالح، فهذه الهدایة مختصة بالخالق لاحظ للمخلوق فيها، لا لمَّاك مقرب ولا لنبي مرسلا، قال تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ هُوَ الْمُهَتَّدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَإِنَّكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 178].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية قومه، وخاصةً عمه أبي طالب الذي دافع عنه، ولكن أبي أن يكون من المهتدين، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} [القصص: 56].

فالداعي إلى الله يبلغ الناس الحق بلافاً مبيناً تقوم به الحجة وتبين به المحجة، ثم بعد ذلك لا يلتفت إلى شيء، لأنَّ النتائج بيد الله، قال تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْنَا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: 82].

12- الدعوة إلى الله شهادة ، والشهادة على الخلق مقامٌ من مقامات الدعوة إلى الله، وأرسل الله نبيه شاهداً على أمته، قال تعالى: {بِاِيَّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (45) وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا} [الأحزاب: 45 – 47].

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهيدة على الأمم السابقة واللاحقة، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَكَيْفُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

ومن شهادة هذه الأمة شهادتها للمرسلين على أمهما المنكرين لتبلیغهم، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَجِيءُ نُوحٌ وَأَمْمَتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّي، فَيَقُولُ لِأَمْمَتِهِ: هَلْ بَلَغْتُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهُدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْمَتُهُ، فَنَشَهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} وَالوَسْطُ الْعَدْلُ}.

وشهادة الحق لا تكون إلا بعلم وعدل، فالداعي إلى الله شاهد على غيره بما معه من العلم النافع وبعدله مع المخالفين، وخاصةً في الحكم على الأعيان والمقالات.

المصادر: